

## رؤية مشتركة، فرصة فريدة

جامعة الأخوين

إفران - المغرب

12 يونيو 2010

الرئيس أو عويشة، أصحاب السعادة، زملائي في مجلس الأمناء، أيها الزملاء الكرام، وقبل كل شيء، طلبة جامعة الأخوين خريجي فوج العام 2010.

السلام عليكم،

لقد كان لي عظيم الشرف أن أدعى إلى التحدث إليكم في هذا اليوم العظيم والمفعم بالسعادة. إن هذا اليوم يؤرخ لإنجاز عظيم آخر من منجزات هذه الجامعة الفتية، المفعمة بالحياة والمقبلة بشجاعة على الإبداع. هذا الإنجاز يؤرخ ليس فقط لتخرج الفوج الثالث عشر من الجامعة، وإنما يؤرخ أيضا للذكرى الخامسة عشرة لبدء خدمات الجامعة لطلبتها وللمملكة المغربية وللإنسانية جمعاء.

إنه لمن دواعي سروري أن أحيي هؤلاء الذين بذلوا الكثير في سبيل مؤازرة الطلبة الذين يتخرجون اليوم، عاملين على صياغة قيمهم ومدتهم بما يحتاجونه، وهم الآن يشاركونهم احتفالهم في هذه اللحظة الغالية من حياتهم.

السيد أو عويشة، استسمحكم في أن أقدم على فعل صار اليوم عندنا تقليدا في جامعتنا. هل لي بأن أدعو آباء خريجي فوج العام 2010 وأصدقائهم وأفراد عائلاتهم كي يتفضلوا بالوقوف ويتقبلوا شكرنا وتقديرنا لهم.

لقد جئت إليكم قادمًا من جامعة بعيدة تختلف كثيرا عن جامعتكم هذه. إنها تفوق هذه الجامعة في عدد سنين عمرها وطلبتها وتقع في قلب حاضرة مزدهمة بعيدا عن أي جبال ولا مجال لمقارنتها مع جمال جامعتكم. لكن مؤسستينا تشتركان في أمور كثيرة لا شك أنها أكثر مما قد يبدو من خلال نظرة خاطفة إلى ما ذكرت للتو من حقائق.

أولا، إن كلتا الجامعتين أسست لغرض معين ينم عن رؤية غاية في الوضوح لما يجب أن تكون عليه الجامعة وللدور المنوط بها في حياة أمة في طور النشوء. والأمر لا يسري على كل جامعات العالم بما فيها الأكثر شهرة منها. فالكثير منها إنما تطورت مع مضي الزمن من مؤسسات على أنماط شتى مصممة أساسا على سبيل المثال لتكوين رجال الدين خدمة لكنائس زمانهم. ولقد أدهشني فعلا ما قرأت من البيان المؤسس لجامعة الأخوين الذي ينم عن رؤية الملك الراحل جلالة الحسن الثاني الذي شيد هذه الجامعة عام 1993. وقد استوقفني بالخصوص عبارة تحكي الكثير عن هذا التمازج الفريد بين التراث والفرصة الموازية التي قامت عليها رسالة الجامعة وهيكليتها ومنهجها الدراسي:

وإذ تضرب بجذورها في التقاليد العربية والمتوسطية والإنسانية مواكبة لروح العصر، تسعى جامعة الأخوين لتكوين طلاب ذوي كفاءات عالية دائبين على طلب العلم والثقافة، واعين بواجباتهم الاجتماعية وبقيم التضامن البشري والتسامح.

انظروا إلى الدقة التي صيغت بها مكانة الجامعة في هذه العبارة. موقعها عند ملتقى خصب يجمع بين قدم التقاليد وأهمية الحاضر، التزامها منذ البداية بالقيم الأكثر إلحاحا في عالم اليوم، "قيم التضامن البشري والتسامح" وكذا قيم السعي المتواصل وراء الثقافة والمعرفة. أما العبارة الموالية فهي توضح علاقة تلك القيم برسالة الجامعة لخدمة الآخرين داخل المغرب وخارجه:

تساهم جامعة الأخوين في تحقيق أهداف المغرب التربوية والثقافية والاجتماعية وتخدم المجتمع الدولي من خلال التقدم العلمي والتكنولوجي، وتكوين طلبة ذوي كفاءات أكاديمية ومهنية عالية، وإنجاز برامج بحث في كافة المجالات خدمة للصالح الوطني والدولي.

قبل أن أعود لموضوع الرؤية المؤسسة للجامعة، أود أن أتوقف قليلا لأحدثكم في بضع كلمات عن الرؤية التي ألهمت تأسيس جامعتي. لقد دعا رئيسنا المؤسس جورج واشنطن في وصيته الأخيرة، دعا صراحة إلى إنشاء جامعة يكون مقرها في قلب عاصمة الأمة الناشئة.

لقد كان يقصد بذلك أمرا بعينه أفصح عنه بكلمات واضحة. لقد كان يعلم أن إحدى أهم الصعوبات التي كان على الأمة أن تواجهها – تلك الأمة التي بذل الكثير لإقامتها – هو أن تتغلب على الاختلافات الجهوية التي كانت قد فرقت المستوطنات البريطانية الثلاثة عشر والتي هي اليوم بمثابة الأعضاء الأصليين للولايات المتحدة.

لقد كان يعلم أن كل مستوطنة قد أنشأت لنفسها تقاليدها وحكومتها المحلية الخاصة بها ونظرتها الخاصة بها للعالم أيضا. الجامعة التي خطط لها كانت لتلقن "كافة فروع الأدب الراقي والفنون والعلوم ومبادئ السياسة والحكم الصالح." ولعل الأهم من ذلك، كما كتب واشنطن، أن "هذا أمر في منتهى الأهمية". فالجامعة ستكون ملتقى لأبناء مختلف المستوطنات السابقة حيث يعيشون و يتعلمون معا ويكونون أصدقاء مدى الدهر، وبذلك سوف يستطيعون تحرير أنفسهم من المساوئ الضيقة والحسد الذي اعتادوا عليه مما شأنه أن يحول دون إتحاد مختلف الولايات. باختصار، فإن الطلبة الذين تصورهم كانوا ليبينوا هوية وطنية ويصبحوا مواطنين روادا للولايات المتحدة الناشئة.

والآن يبدو كأن جورج واشنطن كان مقاولا أيضا بالإضافة إلى كونه جنرالا عظيما ورجل دولة، رغم أن بعضا من مغامراته كانت أقل نجاحا من غيرها. ولكي يدفع مصاريف إنشاء الجامعة ترك في وصيته بعض الأسهم في إحدى الشركات التي كانت تبني قناة وكان يأمل أن يجني عن طريقها بعض المال ولكنه لم يجن شيئا أبدا. فكان أن واجهت جامعتنا في بدايتها صعوبات أكثر مما كان توقع. بل إن الأمر تطلب مضي أكثر من 20 عاما على وفاة جورج واشنطن في عام 1799 لجمع الأموال ولمجلس النواب الأمريكي كي يستجيب لندائه ويقيم ما عرف فيما بعد بجامعة جورج واشنطن.

لقد تغير الكثير منذ ذلك الزمن ونحن اليوم نعلم بنات وأبناء الولايات الخمسين وليس الثلاثة عشر فحسب. كما أننا نستقطب طلبة من 130 بلدا ولم نكون مواطنين فقط وإنما مواطني العالم. إن رؤيتنا العالمية بحق لهي من أهم المزايا التي تشترك فيها جامعتنا. إضافة إلى اشتراكنا في خدمة المجتمع والوطن والعالم أجمع.

بخصوص الخدمة أقول إن هذه السنة خاصة كانت متميزة جدا بالنسبة لجامعتي. ففي شهر شتنبير الماضي تحدثنا السيدة الأولى ميشال أوباما أننا إن نحن أتمنا مائة ألف ساعة عمل خدمة لصالح عامة المجتمع قبل حلول الفاتح من شهر ماي فسوف نتضم إلينا وتلقي الكلمة الرئيسية في حفل التخرج. فكان أن انطلقنا بنشاط في المدينة والمنطقة وأماكن أخرى من العالم لتنظيف المنازل وطلاء جدران المدارس وإلقاء دروس فردية للأطفال وبناء المنازل، ليس في واشنطن وحدها وإنما في أماكن بعيدة مثل هايتي والبيرو وجنوب إفريقيا. وفي النهاية أتمنا ليس فقط المئة ألف ساعة وإنما 163.980 ساعة (لكن من ذا يأبه لإحصاء عدد الساعات) وبذلك حظينا بشرف كلمة من السيدة الأولى كانت بحق ملهمة لنا. ولعلكم تودون معرفة أن الفكرة الأساسية في تلك الكلمة كانت حاجة الإنسان الملحة لأن ينظر إلى أبعد من حدود بلاده. لقد قالت للطلبة المتخرجين شيئا ربما يمكن أن يقال إلى الطلبة المتخرجين من جامعة الأخوين، قالت لهم

"أنتم تعلمون أننا لم نعد في معزل عما يحدث في العالم من حولنا. إن مصلحتنا تكمن في أن نتعالى على مصالحنا الشخصية العاجلة وننظر إلى بعضنا بعضا على مستوى العالم. إن الكثير من مصاعب العالم اليوم من قبيل الاقتصاد والإرهاب وتغير المناخ لا تعرف الحدود وأن تدليل تلك المصاعب يستدعي التعاون مع الآخرين. إن جيلكم هذا على يقين تام أكثر من غيره، أنه مؤهل على نحو فريد لإيجاد حلول لتلك الصعاب. إنكم تؤمنون بقدرتكم على تغيير مجتمعكم وتغيير العالم."

وهنا أيضا يبدو وكأن السيدة أوباما قد قرأت البيان المؤسس لجامعتكم وما يوليه من اهتمام خاص بقيم التعاون البشري والتسامح وخدمة الأمة والمجتمع الدولي.

بفضل تلك القيم المشتركة والرؤية التي تنساب منها فإن جامعتنا يربطها ميراث أشمل وأعم. وهنا تحضرني تلك القيم التي نملكها جميعا نحن ورثة "الديانات السماوية الثلاث". حقا إن الصبغة الإلهية للعلم ونعيم السلام هما أمران تشترك فيهما الديانات الثلاث عبرت عنهما كلمات القرآن أحسن تعبير وفصلها المسلمون في قاعات الدرس أحسن تفصيل.

يحضرني كذلك ما وقف عنده الرئيس أوباما في خطابه بجامعة القاهرة قبل عام من اليوم. لقد أقر بأمر قلما يذكر في الغرب وهو مدى الرعاية والحفاظ الذي نعمت به الحضارة في كنف الإسلام إلى أن سلمت إلى العالم المعاصر. يقول الرئيس أوباما

إن "الإسلام هو الذي حمل معه في أماكن مثل الأزهر أول نور للعلم عبر قرون عدة، مههدا الطريق للنهضة الأوروبية وعصر التنوير. ونجد روح الابتكار الذي ساد المجتمعات الإسلامية لقد روح الابتكار الذي ساد المجتمعات الإسلامية وراء تطوير علم الجبر والبوصلة المغناطيسية وأدوات الملاحة وفن الأقلام والطباعة، بالإضافة إلى فهمنا لانتشار الأمراض وتوفير

العلاج المناسب لها. حصلنا بفضل الثقافة الإسلامية على أروقة عظيمة وقمم مستدقة عالية الارتفاع وعلى أشعار وموسيقى خالدة وفن الخط الراقي وأماكن التأمل السلمي كما أظهر الإسلام على مدى التاريخ فعلا وقولا الفرص الكامنة في التسامح الديني والمساواة ما بين الأعراق.

نحن إذن مدينون لحضارة الإسلام العظيمة التي كنا نحن في جامعة جورج واشنطن على صلة غير مباشرة بها عند تأسيس الجامعة وذلك من خلال الثقافة الأوروبية المعاصرة، في حين أنكم في جامعة الأخوين كنتم ورثتها الأصليين.

بفضل كل هذه القيم المشتركة كان من الصواب إذن أن ندخل في شراكة رسمية عام 1999 ننشئ وفقا مشتركا.

لقد سرني كثيرا وأنا الذي قدمت إلى جامعة جورج واشنطن بعد مرور بضعة أعوام على ذلك الحدث، سرني أن أرى أن تلك الشراكة قد بدأت توتي ثمارها فعلا.

لقد تبادلنا عددا من الطلبة الذين تابعوا مختلف الدروس في جامعتنا إضافة إلى أن عددا آخر من طلبة جامعة جورج واشنطن قد استفادوا كثيرا من مشاركتهم في البرنامج الصيفي المكثف للغة العربية بجامعة الأخوين، كما أن مكتبتكم قد استفادت في تطويرها من مساعدة مسؤول المكتبة بجامعتنا. وكذلك يعمل أساتذة من كليتي الهندسة والقانون بجامعتنا مع زملاء لهم من جامعة الأخوين على برنامج تدريب في مجال الأمن السيبراني لفائدة فئة من المديرين التنفيذيين المغاربة وأخصائيين فنيين وخبراء قانونيين. كما نتعاون أيضا على تنظيم مؤتمر دولي على الأمن السيبراني في المستقبل القريب بالمغرب.

أما عن الشراكات المستقبلية فقد بهرني ما علمت عن وجود مركز هيلاري رودهام كلينتون لتمكين المرأة ضمن برامج الجامعة والذي أسس سنة 1999 وهي ذات السنة التي شهدت إحداث الشراكة بين جامعتنا.

إن هذا مجال من المجالات الذي سبقتم إليه ونحو متحمسون لنحذو حذوكم، فخلال دورة الربيع هذه، أوصى فريق العمل لقضايا النساء في العالم بإحداث معهد جورج واشنطن العالمي للمرأة. وأنا أتوق لأبحث مع الرئيس أو عويشة وزملائه سبل العمل سويا على هذا الجانب المهم من القضايا العالمية.

وعلى الرغم مما يجمعنا وما سوف يجمعنا في المستقبل مع نمو شراكتنا الفنية، إلا أنني أود ألا أغفل عن الأمر المميز لهذه المناسبة اليوم في مدينة إفران الجميلة. أود ألا أغفل عما تنفرد به هذه الجامعة، عن هذه الفرصة الفريدة والمميزة التي تستقبلونها وأنتم خريجون جدد.

وكما ذكرت آنفا فإن جامعتي أقدم سنا من جامعتكم ولكنها حديثة السن إذا ما قورنت مع جامعات عريقة في فاس أو القاهرة أو بولونيا أو أكسفورد ولو أن عمرها يقارب المائتي عام.

تماما مثل خريجيتها، فقد نعمت جامعتكم بالحيوية والنشاط وهي لا تزال بعد ناشئة مثلما أنكم لازلت بعد ناشئين. وهي تنشأ في زمان ومكان فريدين كجامعة جريئة وعصرية في مملكة المغرب العريق تقف كما تقفون أنتم في مفترق طرق.

إن المغرب أمة تحفل، واسمحوا لي أن أنقل مرة أخرى عن البيان التأسيسي للجامعة، أمة تحفل "موقعا استراتيجيا متميزا، ينتمي للحضارة الإسلامية وينفتح على قارات أوروبا وأمريكا وآسيا". إن لأمتكم مكانة خاصة تؤهلها لأن تلعب دورا يزداد أهمية في القضايا العالمية كنموذج للتنوع والانفتاح والتسامح. كما أن لكم مكانا فريدا في هذه الأمة بفضل نمط تعليمكم الذي أريد له أن يجمع أفضل الدروس المستفادة من لقاء هذه الحضارات وأن يهيئكم لمناصب الريادة في عالم الاقتصاد العالمي الواسع والمعقد.

لقد استمتعتم على نحو ما بفضل هذا الوضع الفريد بشيء أقرب لما أراده جورج واشنطن للطلاب الذين تصورهم قبل مائتي عام تقريبا. فلقد طورتم معا زادا مشتركا من المعرفة ومجموعة من المهارات بفضل الجذع المشترك من الدروس التي تتلقونها في الجامعة. لقد حظيتكم بشرف التعلم في أقسام دراسية صغيرة مما مكنكم من معرفة أساتذتكم وتبادل أفكاركم مع زملائكم الطلبة. لقد حظيتكم بتجربة لغوية غنية حيث اللغة الإنجليزية لغة التدريس لكنها تعزز باللغتين العربية والفرنسية وتدرسهما كذلك. وعلمتم مهارات مهنية خاصة تجعلكم قادرين من الآن على المساهمة في تحسين المغرب والعالم.

ولي اليقين أنكم ستمضون قدما من اليوم حاملين بل ومتشبعين بالقيم التي تعلمتم هنا وأنكم سوف تعززون بصداقة زملائكم الطلاب وبخاصة أولئك الذين لهم تجارب حياة ومعتقدات تختلف عن تجاربكم ومعتقداتكم، وأنكم لن تفرطوا أبدا في خدمة الآخرين وهذا هو الميراث المشترك بين جامعتنا كما هو مشترك بين الديانات السماوات الثلاث.

شكرا وحظا سعيدا و السلام عليكم.